

الوجوه والنظائر وأهميتها في التفسير

صديق أحمد مالك
جامعة أم القرى - السعودية

ملخص الدراسة :

الدراسة بعنوان: «الوجوه والنظائر وأهميتها في التفسير»، وقد قُسمت الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وهي على النحو الآتي: المقدمة: وتناول الباحث فيها أهمية الموضوع.

المبحث الأول: مفهوم الوجوه والنظائر وأهم المؤلفات.

المبحث الثاني: الفرق بين المشترك اللفظي والوجوه والنظائر.

المبحث الثالث: أثر الوجوه والنظائر في التفسير.

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج من أهمها: ١- الاختلاف الذي وقع في تعريف الوجوه والنظائر بين العلماء، أكثر من الاختلاف اللفظي؛ لأنَّ المضمون واحد.

٢- الإمام الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، خالفا الإمام ابن الجوزي في مفهوم الوجوه والنظائر من ناحية نظرية فقط، أمَّا التطبيق فلا خلاف واضح بينهم.

٣- نال هذا العلم أهمية قصوى، وكتب فيه العلماء منذ نهايات القرن الهجري الأول، وأول من صنّف فيه عكرمة مولى ابن عباس رضي

الله عنهم، إلّا أنَّ أشهر المؤلفات الجامعة له هو: «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي - رحمه الله -».

٤- أصحاب الوجوه والنظائر كثيراً ما يذكرون معنى اللفظ بما يخالف ما ذكره بعض المفسرين، وهم بهذا لا يجعلونه هو المعنى الصحيح، بل إنَّ من وجوه هذا اللفظ كذا، بصرف النظر عن قوته، أو ضعفه.

٥- اهتمام السلف رضوان الله عليهم بهذا العلم كان منصباً في تعدد الوجوه والمعاني للألفاظ، وتوسع الخلف في هذا العلم، واجتهدوا في ربط تلك المعاني وفق مقاصد القرآن، كما هو الحال في التفسير الموضوعي، ممَّا أكسب هذا العلم مزيداً من الأهمية في التفسير.

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أمَّا بعد:

فإنَّ الله تعالى أنزل هذا القرآن الكريم، وهو في غاية الإعجاز، في ألفاظه ومعانيه، وفي سياقه وأسلوبه، وفي أحكامه وتشريعاته، وفي بديع ترتيبه

أسباب اختيار الموضوع:

١- البحث في هذا الموضوع من الأهمية بمكان، لأن دراسته والاعتناء به، سوف تكشف عدداً من الجوانب المهمة المتعلقة بهذا الموضوع، والذي يستمد أهميته من مكانة الكتاب العزيز: القرآن الكريم.

٢- خدمة كتاب الله تعالى، والوقوف على أسلوبه الأدبي الرفيع في فصاحته وبلاغته، التي كانت من أهم دلائل إعجاز القرآن الكريم.

٣- إن هذه الدراسة تدحض دعوى كثير من أعداء الإسلام، وافتراءاتهم القائلة إن علماء المسلمين اختلفوا اختلافاً كبيراً في فهم ألفاظ القرآن ونصوصه.

٤- المساهمة المتواضعة في المكتبة الإسلامية بهذا اللون المهم من الدراسة، لأن الحاجة ماسة ومتجددة للكتابة حول ما يُظهر إعجاز القرآن الكريم، والذي يدل بصورة قاطعة على أن القرآن هو كلام الله حقاً.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج التحليلي وفق الخطوات الآتية:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها.

٢- وضعت علامات الترقيم في مواضعها المناسبة، حتى تعين القارئ على فهم النص.

٣- خرّجت الأحاديث الواردة من مظاهرها، ومصادرها الصحيحة.

٤- لم أترجم للأعلام المذكورين في ثنايا البحث، مراعاة للإيجاز الذي يناسب هذه

ونظمه، في جميع آياته وحروفه، فالناظر له يجده محكم السرد، دقيق السبك، قوي الحبك، يجري فيه وجه الإعجاز من ألفه إلى يائه، لذلك توجهت إليه أنظار العلماء، وعناية الفصحاء والبلغاء، وعكفوا على دراسته واستخراج فنونه وكنوزه ودرره وعلومه، وكذلك حفظاً وتلاوة وبياناً، ولعل من أهم مظاهر هذه العناية تدوين التفاسير بأنواعها واتجاهاتها، والناظر في مدارس المفسرين يرى من محققهم، اعتناءً بمباحث علوم القرآن على وجه العموم، لأثرها العظيم في تفسير القرآن الكريم.

وقد شغلت الدراسات القرآنية قدراً كبيراً من اهتمام الباحثين المتقدمين والمتأخرين، وقد تناولها عدد كبير من علماء اللغة، والتفسير، والحديث وغيرهم، وأخذت منهم اهتماماً كبيراً وبحثاً متواصلاً، من أجل خدمة كتاب الله تعالى العزيز وإيضاح ما غمض منه وأشكل فيه، ومن تلك الدراسات معاني ألفاظ الكلمات القرآنية التي اهتم بها كثير من العلماء والباحثين، وبرز في هذا المجال علماء أجلاء ضبطوا هذا العلم ضبطاً دقيقاً، وحفظوا مسأله، وأصوله، وفروعه، وأضافوا وجوهاً لإعجاز القرآن واتساع معانيه.

إن الوجوه والنظائر تمثل لونا من هذا الإعجاز، لأنها كشفت النقاب عن المعاني المتعددة والمتجددة، التي يصلح أن تدل عليه تلك الألفاظ، وما زالت معاني القرآن بكرة تتجدد في كل عصر؛ لأنه المصدر الأول للشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان.

البحوث.

التفسير.

٥- في بيان أثر الوجوه والنظائر في التفسير
اختار الباحث من مصادر التفسير ما يناسب
هذا الأثر، فإن كان في العقيدة، رجع الباحث إلى
مصادر التفسير العقدي، وإن كان في الفقه، رجع
إلى مصادر الاتجاه الفقهي في التفسير وهكذا..

ثالثاً: خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث،
وخاتمة، وهي على النحو التالي:
المقدمة: وتحدثت فيها عن أهمية الموضوع،
وأسياب اختياره ومنهج البحث.

المبحث الأول: «مفهوم الوجوه والنظائر وأهم المؤلفات».

المطلب الأول: الوجوه والنظائر لغة واصطلاحاً.

أولاً: في اللغة.

ثانياً: في الاصطلاح.

المطلب الثاني: أهمية علم الوجوه والنظائر.
المطلب الثالث: نشأة هذا العلم وأهم مؤلفاته.

أولاً: نشأته.

ثانياً: أهم المؤلفات.

المبحث الثاني:

الفرق بين المشترك اللفظي، والوجوه والنظائر.

المطلب الأول: تعريف المشترك وصوره.

المطلب الثاني: الفروق بين المشترك والوجوه والنظائر.

المبحث الثالث: أثر الوجوه والنظائر في

المطلب الأول: نماذج للوجوه والنظائر.

المطلب الثاني: أثر الوجوه والنظائر في التفسير.

أولاً: في العقيدة.

ثانياً: في الفقه.

ثالثاً: التطور الدلالي للألفاظ.

وأخيراً ما قمت به هو جهد المقل، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وحسبي قول القائل:

إن تجد عيباً فلا تعجل بلومك لي

إنني امرؤٌ غير معصوم من الزلل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

المبحث الأول

مفهوم الوجوه والنظائر وأهم

المؤلفات

المطلب الأول

الوجوه والنظائر لغة واصطلاحاً

أولاً: الوجوه والنظائر لغة:

الوجوه في اللغة:

قال ابن فارس: (وجه) الواو والجيم والهاء:
أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه
مستقبل لكل شيء يقال وَجَّه الرجل وغيره، وربما
عَبَّرَ عن الذات بالوجه، وتقول: وجهي إليك قال:
أستغفر الله ذنباً لست محصية

ربَّ العباد إليه الْوَجْهُ والعمل
وواجهت فلاناً: جعلت وجهي تلقاء وجهه، ومن
الباب قولهم: هو وجهي بَيْنُ الجاه والجاه مقلوبٌ.

يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ فذكر عشرين سورةً من المفصل،
سورتين في كل ركعة»^(٤).

والنظائر: جمع نظير، وهو المثل والشبيه، يقال
فلان نظير فلان إذا كان مثله وشبيهه، ويقال
ناظرت فلاناً: أي صرّت نظيراً له في المخاطبة،
وناظرت فلاناً بفلان أي جعلته نظيراً له.

الوجوه والنظائر اصطلاحاً:

ما سبق كان من حيث اللغة، وأمّا من حيث
الاصطلاح فيقال: أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت
في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة
واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ
كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة
المذكورة في الموقع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى
غير معنى الأخرى هو الوجوه»^(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
«الوجوه في الأسماء المشتركة، والنظائر في
الأسماء المتواطئة، وقد ظن بعض أصحابنا
المصنفين في ذلك أن الوجوه والنظائر جميعاً في
الأسماء المشتركة، فهي نظائر باعتبار اللفظ،
ووجوه باعتبار المعنى، وليس الأمر على ما قالوا،
بل الكلام الصريح فيما قلناه من تأمله»^(٦).

أمّا الإمام الزركشي في البرهان فقد عرفها
بقوله: «اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة
معان، كلفظ الأمة، والنظائر كالألفاظ المتواطئة»،
ووافق الإمام السيوطي على هذا القول في كتابه
الإتقان في علوم القرآن^(٧).

ولم يؤيد صاحب كشف الظنون هذا التعريف
بل أيد، ووافق الإمام ابن الجوزي، فقال في
تعريفها: «ومعناه أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في

والوجهة: كل موضع استقبلته قال الله تعالى:
((ولكل وجهة هو موليا))، ووجهت الشيء:
جعلته على جهة، وأصل جهته وجهته والتوجيه:
أن تحضر تحت القنّاء أو البطيخة ثمّ تضيعها،
وتوجه الشيخ: ولي وأدبر، كأنه أقبل بوجهه على
الآخر، ويقال للمهر إذا خرجت يداه من الرحم:
وجهه»^(٨).

ووجه الكلام: السبيل التي تقصدها به،
وصدقت الشيء عن وجهه أي عن سننه، وكساء
موجه: له وجهان ويجمع وجه على أوجه، ووجوه،
وربما عبر عن الذات بالوجه تقول: وجهي إليك،
وتقول واجهت فلاناً أو اجهه إذا جعلت وجهك
تلقاء وجهه ويقال وجه الرجل وغيره»^(٩).

ومن هنا يظهر أن الوجه في اللغة السبيل الذي
تقصده به.

النظائر في اللغة:

من أجمع التعاريف قول الزبيدي: النظائر:
الأفاضل والأمثال، لاشتباه بعضهم ببعض في
الأخلاق والأفعال والأقوال، ونظائر القرآن:
سميت سور المفصل لاشتباه بعضها بعضاً في
الطول والقصر»^(١٠).

ومن ذلك ما ورد عن الصحابي الجليل
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لقد
عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقوم بها عشرين سورة من المفصل» يريد
السور المتماثلة في المعاني، كالموعظة أو الحكم أو
القصص، لا المتماثلة في عدد الآي، لما سيظهر
عند تعيينها. وفي رواية أخرى عنه: «لقد عرفت
النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم

(انظر النماذج نهاية المادة)

ومن هنا يظهر لنا أن مؤلفات السلف في الوجوه والنظائر بقيت في دائرة دلالة الكلمة في موضعها، ولم يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة، وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن، وأظهروا بذلك لونا من البلاغة والإعجاز القرآني، وقد كان من نتائجه استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة، لم يكن بمقدورهم العثور عليها لولا انتباههم هذا السبيل. ومن خلال تعاريفنا السابقة للوجوه والنظائر يمكن لنا أن نذكر الفروق بين تفسير الوجوه والنظائر وبين تفسير المفردات في الآتي:

أولاً: أن التفسير بالوجوه والنظائر يختص بنوع واحد من المفردات، فيذكر عدد الوجوه التي دل عليها اللفظ في جميع ما ذكر من آيات، مستعيناً على ذلك بما يرشده إليه موضعها في الآية، ثم يذكر لكل وجه جميع الآيات أو بعضها، ممّا ورد بها اللفظ ودل عليه.

ثانياً: التفسير للمفردات يأتي باللفظ الوارد في القرآن الكريم، فيذكر معناه أو معانيه في اللفظ على طريقة أصحاب المعاجم، مستعيناً باللفظة أو ما فسره المفسرون دون أن يذكر لفظ «الوجوه»^(١٠).

إذاً فالتفسير بالوجوه والنظائر نوع من علوم القرآن الكريم، إذ يبحث في ألفاظ القرآن الكريم ويوضح ما ورد في أكثر من آية وكانت دلالاته على معناه في كل موضع خلافاً للموضع الآخر، أي أن التفسير الذي يختص به هذا النوع يقوم بالنظر في معنى كل لفظ، ورد متكرراً في آيات القرآن

مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني^(٨).

وقد لاحظ العلماء المعاصرين على تعريف ابن الجوزي للنظائر بقوله: أن تكون الكلمة الواحدة، قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، فقالوا: ليس من الضروري أن تكون الكلمة المشتركة على لفظ واحد وحركة واحدة، لأن كتب الوجوه والنظائر جرت على استعمال اللفظة ومشتقاتها على السواء، بل حتى ابن الجوزي لم يلتزم ما قال به^(٩).

وهذا الاختلاف اليسير في تعريف الوجوه والنظائر ليس مؤثراً، لأن جميع التعاريف السابقة تتفق في المضمون، بل أرى أن الزركشي، والسيوطي، قد خالفا ابن الجوزي من ناحية نظرية فقط، أما الجانب التطبيقي فلم أرى أي خلاف بينهما لأن الأمثلة التي استدلوها بها توافق تماماً تعريف ابن الجوزي للوجوه والنظائر، كما سيظهر ذلك من خلال النماذج التي سوف أستشهد بها في المباحث القادمة.

ويمكن لنا أن نأتي بتعريف نجمع فيه بين أقوال السلف رضوان الله عليهم والخلف بقولنا: الوجوه لفظ قرآني مستعمل في عدة معان، أريد بكل موضع معنى غير المعنى الآخر، أم النظائر فهي الألفاظ التي يجمعها معنى ووجه من تلك الوجوه بحيث يكون لكل وجه نظائره التابعة له.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبيعن أحدكم على بيع أخيه»^(١٢)، أي لا يشتري على شراه، والمبايعة والمشاركة تقالان فيهما، قال الله تعالى: (وَأَحْلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (البقرة: ٢٧٥)، وقال: (وَذَرُوا الْبَيْعَ) (الجمعة: ٩)، وقال تعالى: (لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) (إبراهيم: ٢١)، وقال: (لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَةٌ) (البقرة: ٢٥٤)، ويباع السلطان إذا تضمن بذل الطاعة له بما رضى له، ويقال ذلك بيعة ومبايعة، وقوله عز وجل: (فَاسْتَبْشِرُوا ببيعتكم الذي بآيعتكم به) (التوبة: ١١١)، إشارة إلى بيعة الرضوان المذكورة في قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (الفتح: ١٨) ...^(١٣)

وبالتأمل في هذين المثالين يظهر الفرق بين العلمين، إذ أن الأول يذكر اللفظ وعدد وجوهه، ثم يضع كل وجه مع اللفظ الدال عليه في الآيات القرآنية، بخلاف التفسير بالمفردات فهو يأتي ابتداءً بالكلمة المفردة، ثم يذكر معناها لغة والاستشهاد عليها بكلام العرب المحتج بقولهم، أو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر بعض الآيات التي ورد بها اللفظ في مورد الآية كذا.

المطلب الثاني

أهمية علم الوجوه والنظائر

هو علم من علوم القرآن الكريم المهمة لتعلقه بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فمن خلال معرفة هذا العلم تضبط مسائل الاعتقاد، وتصح آلة الاستنباط للأحكام الشرعية بصورة سليمة؛ لأن فقه الكتاب قائم على فقه كل لفظ ومعناه،

الكريم، أما علم المفردات فيؤتى باللفظ الوارد في القرآن الكريم، فيذكر معناه أو معانيه في اللفظ على طريق المعاجم.

ولتوضيح ذلك نذكر مثالا لكل منهما:

لقد ورد في القرآن الكريم لفظ لبس في مواضع عدة منها قوله تعالى: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) (البقرة: ٤٢)، ومنها قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) (الأنعام: ٨٢)، وقوله تعالى: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) (البقرة: ١٨٧)، وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) (النبا: ١٠)، وقوله تعالى: (قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتَكُمْ) (الأعراف: ٢٦)، وقوله تعالى: (يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) (الدخان: ٥٢)، وقوله تعالى: (وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) (الأعراف: ٢٦).

وبالتأمل في اشتقاقات هذا اللفظ في هذه الآيات المباركة يظهر لنا الاختلاف في المعنى حسب الموضع والسياق القرآني إذ أننا نجد معناه في الآيات الثلاث الأولى (الخلط)، ومعناه في الرابعة والخامسة (السكت)، ومعناه في الآية السادسة والسابعة الثياب، ومعناه في الثامنة العمل الصالح، فتعلم أن لفظ اللباس أربعة وجوه^(١١).

أما مثال التفسير للمفردات، فهو لفظ: «بيع».

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: البيع إعطاء المثلث وأخذ الثمن، والشراء إعطاء الثمن وأخذ المثلث، ويقال للبيع الشراء، وللشراء البيع، وذلك بحسب ما يتصور من الثمن، وعلى ذلك قوله عز وجل: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) (يوسف: ٢٠)،

الفقه عنه، وفقه كل لفظ ومعناه خاصة إذا ورد بمعان متعددة يعسر على الناظر إدراكها من النظرة الأولى، بل لابد من النظر الثاقب، والفهم الثابت لهذه المعاني المتباينة لما يترتب عليه من اختلاف في فهم العقيدة والأحكام، فلا يستغني عالم العقيدة مثلاً عن فهم معاني الظن التي وردت في قوله تعالى: (وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (الأنعام: ١١٦)، ثُمَّ تَأْتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ) (الحاقة: ٢٠) بمعنى اليقين، والمجتهد في الفقه كذلك ينظر في هذا العلم فيبتين له أحكاماً كثيرة، وهكذا فإن المتخصص في علوم القرآن يجد بغيته فيما ينظر فيه ويطلبه.

ولأهمية هذا العلم، لم يخلو مؤلف في علوم القرآن قديماً، وحديثاً من الإشارة والحديث عنه وأهميته.

ثانياً: أولى خطوات التفسير

الموضوعي:

علم الوجوه والنظائر يعتبر الخطوة الأولى المهمة في التفسير الموضوعي وهو بمثابة المفتاح للتفسير الموضوعي الصحيح، وفي أهمية هذا التحديد يقول الأصفهاني رحمه الله: «إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن الكريم، العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللب في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعاً في علم

خاصة إذا ورد بمعان متعددة يعسر على الناظر إدراكها من الوهلة الأولى، كما تظهر من خلاله سعة علوم الكتاب المجيد، ودقة إحكامه، وجمال نظمه، وما للغة العربية من مزية، وفضيلة، فهي تمتاز باتساع ألفاظها، وتعدد معانيها وتنوع أساليبها، وقوة بيانها، وهي لغة القرآن الكريم التي أظهرت إعجازه، وأوضحت أسرارها، وأخرجت كنوزه وفنونه، ولم تكن هذه اللغة ضيقة التعبير عن المعنى المراد، وإنما كانت واسعة الدائرة في ذلك، إذ لدى العرب القدرة على التعبير عن المعنى الواحد بأساليب متعددة، وألفاظ مختلفة حسب ما يقتضيه حال المخاطب والسماع، وبذلك يمكن فهم المعنى المراد عند المخاطبين بصورة كاملة، مهما اختلفت ظروفهم وأصنافهم، وتعددت مستوياتهم الفكرية.

ويمكن لنا أن نبرز أهمية هذا العلم في الآتي:

أولاً: علوم الوجوه والنظائر من العلوم المهمة

في علوم القرآن الكريم:

لا يخفى على الباحثين ما لهذا العلم من شرف بقدر ما لغايته من الفضل والشرف، وهو علم عظيم الأثر لما في معرفته من إدراك لألفاظ القرآن الكريم، الذي هو لب الشريعة ومصدر الحقيقة، فمتعلق هذا العلم هو القرآن الكريم، الذي حوى على كل العلوم، وهذا العلم هو عمادها، وذروة سنامها، لا يستقيم لعالم في العقيدة، ولا لمجتهد في الفقه إلا إذا علم هذا العلم؛ لأنه من الشروط المهمة التي ذكرها العلماء لمفسر القرآن الكريم، أن يكون عالماً بالوجوه والنظائر؛ لأن القرآن حملاً ذو وجوه، فلا غنى لعالم في العقائد، ولا في

للمعاني المتعددة، وقد جعل بعض العلماء ذلك من إعجاز القرآن الكريم، حيث تجد الكلمة الواحدة أحياناً تنصرف إلى عشرين وجهاً، أو أكثر، أو أقل: «قد تبين من البحث في الوجوه والنظائر، أن اللفظ الواحد قد يحتمل أكثر من معنى، لاختلاف وصفه بالنسبة لما اقترن به من ألفاظ، أو لازمه من سبب، أو المناسبة، أضف إلى ذلك ما يستفاده الأديب من هذا الأسلوب الأدبي الرفيع في فصاحته وبلاغته، التي كانت من أهم دلائل إعجاز القرآن الكريم»^(١٧).

و ثراء اللغة العربية وشمولها ليس نتاج جمالتها، ومجموع ألفاظها فحسب، بل ثراء مفرداتها، إذ أن كثيراً من مفردات اللغة العربية، ثرية بالمعاني والمدلولات المتعددة والمختلفة بحيث يمكن التعبير بلفظ واحد عن معاني مختلفة، فضلاً عن أن كل معنى من هذه المعاني له لفظ خاص به، أو يدل على معاني أخرى غيره، وتوسع القرآن الكريم في ذلك وجاوز قدرة أهل اللغة أنفسهم، وعجزوا عن مجاراته، فكان هذا كما قال الإمام الزركشي من أنواع معجزات القرآن الكريم^(١٨).

إلى غير هذا ممّا يدل على أهمية الوجوه والنظائر من أمور عدة، منها ظهور هذا العلم منذ وقت مبكر، واهتمام السلف الصالح به، وكثرة المؤلفات قديماً وحديثاً التي عنيت به وبدراسته.

المطلب الثالث

نشأة علم الوجوه والنظائر وأهم

المؤلفات

أولاً: نشأة هذا العلم:

القرآن فقط، بل في كل علم من علوم الشرع»^(١٩). قلت بل في كل ميادين العلم والمعرفة.

إن دراسة المفردة القرآنية تقتضي تحديد الدلالة المعجمية بدءاً من الجذر، وتحولها من دلالتها اللغوية إلى دلالاتها الجديدة في سياقها القرآني، وذلك من خلال معرفة مختلف سياقاتها في النص ومقارنتها، وربطها بمفردات أخرى تشكل معها مفاتيح بنية النص، وما يحمله اختيار تلك الكلمة وذاك الاشتقاق من دلالة دون غيره للتعبير عن المعنى السياقي الجديد.

إن تحديد المفاهيم والمصطلحات القرآنية تعد مهمة ضرورية يبنى عليها عناصر الموضوع القرآني المراد دراسته وبيان حقائق الوحي وهداياته فيه^(٢٠).

إن هذا القسم من التفسير الموضوعي إنما يمثل حلقة مهمة في سلسلة موضوع الدراسة، ذلك أن دراسة موضوع ما إنما يركز ابتداءً على تحديد المقصود بعنوان ذلك الموضوع، والمفردات التي يتشكل منها، وعلى هذا فإن دراسة مفردة قرآنية على مستوى القرآن الكريم كله، ليس قسماً مستقلاً من أقسام التفسير الموضوعي، ولكنها حلقة البداية في تفسير الموضوع القرآني^(٢١).

ثالثاً: من أوجه الإعجاز القرآني الكريم:

لما نزل القرآن الكريم بلغة العرب التي تميزت بكثرة مفرداتها، وسعت فكرتها في التعبير عن المعاني المتعددة باللغة الواحدة، جاء القرآن الكريم بما أعجز العرب في جوانب البيان، ومن ذلك دقته وسعته في استعماله للفظ الواحدة

القرون التالية.

ثانياً: أهم المؤلفات:

نال هذا العلم تلك الأهمية، فكتب فيه العلماء منذ بداية القرن الثاني الهجري، فمن أول من صنّف فيه:

١- مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ وكتابه (الأشباه والنظائر في القرآن).

٢- هارون بن موسى الأعور ت ١٧٠هـ: (الوجوه والنظائر في القرآن).

٣- يحيى بن سلام ت ٢٠٠هـ: (التصاريف).

٤- الحكيم الترمذي ت ٢٥٥هـ: (تحصيل نظائر القرآن الكريم).

٥- أبو العباس المبرد ت ٢٨٦هـ: (ما اتفق لفظه واختلف معناه).

٦- أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ: (الأفراد).

٧- الثعالبي ت ٤٢٩هـ وكتابه: (الأشباه والنظائر).

٨- النيسابوري ت ٤٣٠هـ: (وجوه القرآن الكريم).

٩- أبو عبد الله الدامغاني ت ٤٧٨هـ: (الوجوه والنظائر).

١٠- عبد الرحمن بن الجوزي ت ٥٩٧هـ: (نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر) (٢٤).

١١- ابن العماد الحنبلي ت ٨٨٧هـ: (كشف السرائر في الوجوه والنظائر).

١٢- الفيروز آبادي: (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز).

هذا العلم هو أحد مواضع علوم القرآن الكريم الفاضلة، وقد اهتم به العلماء قديماً وحديثاً، منذ عصر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام أحمد في مسنده، وعبد الرزاق بين أبي شيبه والبيهقي من طريق أيوب السختياني، عن أبي قلادة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قوله: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة» (١٩).

ويشهد له كذلك ما أخرجه ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرسله إلى الخوارج وقال له: «اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم في القرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة» (٢٠).

وأخرج من طريق آخر أن ابن عباس رضي الله عنه قال له: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله تعالى منهم، في بيوتنا نزل، قال: «صدقت، ولكن القرآن حمالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون» (٢١).

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين شيء من هذا النوع فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة» (٢٢)، وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كل ريب: شك، إلا موضعاً واحداً في الطور «ريب المنون»، يعني حوادث الأمور (٢٣).

وهكذا يظهر أن نشأة هذا العلم كان منذ وقت مبكر في صدر الإسلام ثم كان تدوينه وتطوره في

ممن قبلهم، فإنك ستظفر بكثير منها عندهم، فكتب الوجوه والنظائر إنما هي جمع للمتفرق من أقوال المفسرين، وإن لم ينسب من ألف في الوجوه والنظائر أقوالهم إليهم.

٢- كتب الوجوه والنظائر تعمد إلى بيان المعنى السياقي للفظ، لذا تكثر في هذه الكتب معاني بعض الألفاظ وهي متداخلة ولا حاجة لفصلها عن بعضها.

٣- بعض هذه الوجوه فيه تكلف لا داعي له سوى التكرار، ولذا يمكن أن تتداخل عدد من الوجوه في وجه واحد، كما أن بعض الوجوه لا تظهر له علاقة باللفظ الذي يذكرونه

٤- هذه الوجوه مرجعها اللغة، أي أن بين هذه معنى الوجوه في سياقاتها القرآنية، وبين المعنى اللغوي للوجه مناسبة وقد تكون المناسبة مرتبطة بأصل معنى اللفظ بلغة العرب، وقد تكون بالمعنى المشهور من دلالات اللفظ، كما قد تقيّد حكاية هذه الوجوه في معرفة المعاني التي يجتمع فيها اللفظ، ولا يخرج عنها في القرآن الكريم، وقد تقيّد هذه الوجوه من يبحث في مصطلح القرآن الغالب على بعض الألفاظ، ويظهر ذلك بتتبع النظائر المذكورة للوجوه^(٢٨).

المبحث الثاني

الفرق بين المشترك اللفظي والوجوه والنظائر:

المطلب الأول:

تعريف المشترك اللفظي وصوره:

المشترك: هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعا أولاً من حيث هما

١٢- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لهارون بن موسى الحجازي^(٢٩).

ومن المؤلفات الجامعة والمفيدة لهذا العلم في العصر الحديث رسالة دكتوراه بعنوان: «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة»^(٣٠).

وقد تضمنت هذه الرسالة دراسة لطيفة لهذا العلم مع الموازنة، وقام الباحث بالمقارنة بين كتب الوجوه والنظائر، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

١- إن ما في كتب أصحاب الوجوه والنظائر تختلف - زيادة ونقصاً - بعضها عن البعض، ولكنها تكاد تجتمع كلمتها على معانٍ متفقة للفظ واحد، ثم تفترق في بعض الوجوه ويُعزّي هذا الاختلاف، إمّا لأنّ أحدهم يذكر اشتقاقات كثيرة للفظ الواحد، كما هي عادة الدامغاني.

٢- إنّ أصحاب الوجوه والنظائر كثيراً ما يذكرون معنى اللفظ بما يخالف ما ذكره بعض المفسرين، وهم بهذا لا يجعلونه هو المعنى الصائب، بل إنّ من وجوه هذا اللفظ كذا بصرف النظر عن قوته، أو ضعفه.

٣- إنّ كتب المتأخرين قد وجدت فيها زيادة عن كتب المتقدمين، وذلك لأنّ المتأخرين قد زادوا وجوهاً رأوا اللفظ احتمالاً لها.

٤- قد تبين من البحث أنّ اللفظ الواحد قد يحتمل أكثر من معنى، لاختلاف وصفه بالنسبة لما اقترن به من ألفاظ، أو لازمه من سبب أو المناسبة^(٣١).

وأيضاً يلاحظ على كتب الوجوه والنظائر:

١- إذا وازنت هذه الوجوه بأقوال المفسرين

مختلفان^(٢٩).

التالية على أنه من المشترك اللفظي.

والمشترك اللفظي له ثلاث صور وهي:

الأولى: ما اتحد لفظه واختلف في معناه،
كلفظ العين فإنه يطلق ويراد به العين الباصرة،
والعين الجارية، وعين الذهب والفضة، وعين
الjasوس، وهذه الصورة هي الأظهر والأغلب في
الاستعمال.

ومعنى هذا التعريف أن المشترك قد تعدد
الوضع فيه، فيوضع اللفظ لمعنى، ثم وضع نفسه
مرة أخرى لمعنى ثان، وقد يتعدد الوضع لأكثر من
مرتبتين كما في كلمة العين، فإنها مرة للباسرة
وأخرى للشمس، وأخرى للفضة والذهب، وللعين
الجارية وهكذا.

الثانية: الكلمات التي استخدمها العرب
للمعنى وضده، وهذه الصورة أيضاً تدخل ضمن
المشترك اللفظي، ومن الأمثلة لها لفظ (قسورة)
يطلق على الرامي، وعلى الأسد ولفظ (عسس)
الذي يراد به إقبال الليل وإدباره ولفظ (الجون)
يطلق على الأسود وعلى الأبيض، ولفظ القرء
يراد به الحيض، ويراد به الطهر.

هذا ومن أهم أسباب وجود المشترك، اختلاف
القبائل العربية في إطلاق الألفاظ على المعاني،
حيث تطلق قبيلة لفظاً معيناً على معنى، ثم
تطلق هذا اللفظ نفسه قبيلة أخرى على معنى
آخر، وكذلك الحال بين اللغات، فقد يكون اللفظ
في العربية مراداً به معنى معيناً، ويكون اللفظ
في الأعجمية - مثلاً - له معنى آخر، فعندما
يستعمل العرب اللفظ الأعجمي فيما وضع له من
العجم، ويستعمل اللفظ نفسه فيما وضع له عند
العرب، نجد أن هذا اللفظ أصبح مشتركاً بين
معنيين، قد تعدد الواضع لهما.

الثالثة: كما يقع الاشتراك اللفظي في الأسماء
والأفعال، فإنه يقع في الحروف كحرف (مَنْ) فإنه
يأتي لابتداء الغاية، كقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي
أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء: ١).

ولوجود المشترك أسباب أخرى، منها: أن
يكون اللفظ موضوعاً لمعنى مشترك بين معنيين،
فيصلح اللفظ لكلا المعنيين لوجود المعنى الجامع
بينهما، وعلى توالي الزمن يغفل الناس عن هذا
المعنى الجامع، فيعدون الكلمة من قبيل المشترك
اللفظي^(٣٠).

ويأتي للتبعيض، كقوله تعالى: (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ
حَتَّى تَفْقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُفْقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران: ٩٢).

ويأتي للسببية، كقوله تعالى: (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ
أَغْرَقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمَّ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا) (نوح: ٢٥).

ومن هذه الأسباب أيضاً، أن يكون اللفظ
موضوعاً لمعنى، ويستعمل في معنى آخر على سبيل
المجاز لعلاقة بين المعنيين، ثم يشتهر استعمال
هذا اللفظ في المعنى المجازي، ويتسنى التجوز مع
الزمن حتى يصير حقيقة فيه، وينقل إلى الأجيال

ولبيان الجنس، كقوله تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ
يُعْظَمُ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ
لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ

مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْتَنَبُوا قَوْلَ الزُّورِ (الحج: ٣٠) .

المطلب الثاني

الفروق بين المشترك اللفظي، والوجوه والنظائر

من خلال ما سبق من تعريف للمصطلحين، يتضح لنا الفرق بين المشترك اللفظي والوجوه والنظائر من خلال النقاط الآتية:

١- الوجوه والنظائر متفق على وقوعها في اللغة وفي القرآن الكريم، أما المشترك فقد ذهب العلماء فيه إلى أقوال سنة، وهي:

١- جواز وقوعه مع وقوعه في اللغة والكتاب والسنة.

٢- وجوب وقوعه.

٢- جواز وقوعه عقلاً، مع عدم وقوعه في اللغة.

٤- عدم وقوعه في القرآن الكريم.

٥- امتناع وقوعه بين النقيضين.

٦- امتناع وقوعه مطلقاً عقلاً^(٢١).

٢- المشترك اللفظي لابد فيه من اتحاد اللفظ مع تعدد المعنى، وأحياناً يأتي لفظ واحد له معنيان يصاد كل منهما الآخر، مثل: كلمة (عسعس)، لها معنى (أقيل)، ولها معنى (أدبر)، لكن يلاحظ أن: أقيل وأدبر معنيان متضادان، مثل كلمة: (قرء) لها معنيان: الطهر، والحيض، وهما متضادان، بخلاف الوجوه، فإنها تكون في اللفظة ومشتقاتها، وبين معانيها اختلاف ليس فيه تضاد مثل كلمة فصل، فإن من تصاريدها، فصلت في قوله تعالى: (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَقْنَدُونَ) (يوسف: ٩٤)،

ومنها فصل في قوله تعالى: (نَهَ لَقَوْلٍ فَصْلٌ)

(الطارق: ١٣)، ومنها يفصل في قوله تعالى: (لَنْ

تَفْعَكُمُ أَرْحَامَكُم وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ

بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (المتحنة: ٢)، ومنها

الفصال كما في قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا

وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي

مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الأحقاف: ١٥)، وأيضاً الفصيصة في

قوله تعالى: (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) (المعارج: ١٣)،

وكذلك الفاصلة وهي ختام الآية القرآنية، وكما

ترى في هذه اللفظة ومشتقاتها اختلاف ليس فيه

تضاد.

٢- اختلاف المعنى في المشترك، بحسب

الوضع العربي، وفي الوجوه والنظائر بحسب

استعمال القرآن للفظ القرآنية، فهناك ألفاظ لا

يُعرف لها إلا معنى واحداً، فيأتي القرآن فيوجد

لها معنى أو معانٍ أخرى، لم تكن معلومة لدى

اللسان العربي قبل ذلك^(٢٢).

٤- أن المشترك اللفظي لا مانع عند العلماء

من حمل اللفظ على جميع معانيه بشرط أن

لا يكون هناك تمناع أو تناقض بينهم، أو أن لا

يقوم دليل على تحديد أحد هذه المعاني، بينما

الوجوه والنظائر يحمل المعنى في كل موضع حسب

ما يناسبه من السياق، ويمتنع حمل اللفظ على

جميع معانيه في الموضع الواحد.

٥- المشترك اللفظي من صوره: أن يقع

حرفاً، ومثاله الحرف: (مِنْ) فإنه يأتي لابتداء الغاية، ويأتي للتبميز، وللسببية، ولبيان الجنس، وكذلك (ما) فإنها تأتي مصدرية، وتعجب، وللاستقهام، ونكرة موصوفة، وتأتي صلة، وزائدة، كما أشار لهذه المعاني صاحب مغني اللبيب بقوله:

لما في كتاب العرب تسعة أوجه وصلها وزد واستعملت مصدرًا تعجب ووصف منكورة وانف واشترط وجاءت للاستقهام، والكف فاضبط^(٢٣) وبعد بيان هذه الفروق، يمكن لنا أن نقسم ألفاظ العربية إلى أربعة أقسام وهي:

القسم الأول: أن يكون اللفظ مختلفاً، والمعنى كذلك مختلف، وهو ما يسمى بالتنوع اللفظي، حيث تستقل كل لفظة بمعنى يختلف عن اللفظة الأخرى، فالأرض غير السماء، والبحار غير الجبال، وهذا هو الغالب في ألفاظ اللغة العربية.

القسم الثاني: أن يكون اللفظ مختلفاً، والمعنى متقاً: أي هو ما اتحد معناه وتعدد لفظه، نحو الإنسان، والبشر، واليَم، والبحر، ونشزها ونشزها، ونحو ذلك ويسمى بالمترادف اللفظي.

القسم الثالث: أن يكون اللفظ واحداً ويتعدد المعنى، كلفظ العين، فإنه يطلق ويراد به العين الباصرة، والنظارة، وعين الجاسوس، وعين الذهب، والعين الجارية، وهذا هو المشترك اللفظي.

القسم الرابع: وهو القسم الخاص بتميز لغة العرب بكثرة مفرداتها، وسعة قدرتها في التعبير عن المعاني المتعددة باللفظة الواحدة، وجاء القرآن الكريم بما أعجز العرب في جوانب

البيان، ومن ذلك قدرته وسعته في استعماله للفظ الواحدة في المعاني المتعددة، وهذا القسم يسمى بالوجوه والنظائر.

وهنا يأتي سؤال مهم، وهو ما علاقة الوجوه والنظائر بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم؟ حيث فسّر كثير من أهل العلم المقصود بالأحرف السبعة هي الألفاظ المختلفة في مسموعها، والمتقاة في مفهومها، كقول الرجل تعال، وأقبل، ونحوي، وعندي، وإليّ، وقصدي.

هذا القول قال به جمهور العلماء منهم أئمة أعلام ثقات لا يشك أحد في سبقهم وعلمهم وإمامتهم، منهم: سفيان بن عيينة، وابن جرير الطبري الذي دافع عنه بشدة في مقدمة تفسيره، وابن وهب، والطحاوي، وابن الأثير، ومكي بن أبي طالب، والإمام البيهقي، وابن سيرين، واختاره القرطبي، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء^(٢٤).

والذي يظهر من تقسيمنا السابق لألفاظ اللغة، ومن تعريفنا للوجوه والنظائر، أن هناك علاقة وطيدة بين القول الراجح في تفسير الأحرف السبعة، وبين الوجوه والنظائر بل الذي أراه أن هذا القول داخل في تعريف الوجوه والنظائر، ويكون هو إحدى صور الوجوه والنظائر، كما اعتبرنا كذلك المشترك اللفظي، ومع وجود الفروق بينهما فإنه يدخل ضمن الوجوه والنظائر في إحدى الصور السابقة.

المبحث الثالث

أثر الوجوه والنظائر في التفسير

المطلب الأول

نماذج الوجوه والنظائر:

الأمثلة في هذا الباب كثيرة ويصعب حصرها، لكن بالمثال يتضح المقال، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن النماذج التي نستشهد بها ما يلي:

النموذج الأول: الهدى يأتي على سبعة عشر وجهاً:

بمعنى الثبات: في قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة: ٦).

ويعنى البيان: في قوله تعالى: (أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (البقرة: ٥).

ويعنى الدين: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (البقرة: ١٢٠).

ويعنى الإيمان: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً) (مريم: ٧٦).

وتعداد الأمثلة من القرآن كثيرة، وقد أجمالها السيوطي بأن من معانيها: الدعاء، والرسل، والكتب، والمعرفة، ويعنى النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، والتوراة، والاسترجاع، والحجة، والتوحيد والسنة^(٣٥).

النموذج الثاني:

السوء في القرآن الكريم يأتي على أوجه:

الشدة في قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ

عَظِيمٌ) (البقرة: ٤٩).

العقر في قوله تعالى: (وَالِى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الأعراف: ٧٣).

الزنى في قوله تعالى: (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَتَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (يوسف: ٢٥). وفي قوله تعالى: (يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيّاً) (مريم: ٢٨).

البرص في قوله تعالى: (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى) (طه: ٢٢).

العذاب في قوله تعالى: (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمُ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) (النحل: ٢٧).

الشرك في قوله تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل: ٢٨).

الشدة في قوله تعالى: (إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْثِنْتَهُمِ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) (المتحنة: ٢).

والذنب في قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً

(النساء: ١٧).

وبمعنى أفضل، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) (المؤمنون: ١٠٩).

وبمعنى العافية، وذلك في قوله تعالى: (وَأَن يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَأَن يَمَسَّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الأنعام: ١٧).

وبمعنى الأجر، بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الحج: ٢٦).

والطعام بقوله تعالى: (فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (القصص: ٢٤).

وبمعنى الظفر والغنيمة والطمع في القتال بقوله تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لِمَ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) (الأحزاب: ٢٥).

وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات في القرآن الكريم، حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن، ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

المطلب الثاني

بعض من أثر الوجوه والنظائر في التفسير: إن علم الوجوه والنظائر من علوم القرآن الكريم التي يعتمد عليها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم، لأنه يراعي الكيفيات الاعتبارية

وبمعنى بئس وذلك في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَتَفَضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد: ٢٥).

والضرر في قوله تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) (النمل: ٦٢)، وفي قوله تعالى: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ١٨٨)، والقتل والهزيمة: (فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ١٧٤).

النموذج الثالث:

كلمة (خير) وردت في القرآن الكريم على ثمانية أوجه حسب ما أورد ذلك الإمام الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر^(٣١) وهي:

بمعنى المال، وذلك في قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (البقرة: ١٨٠)، وفي قوله تعالى: (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) (العاديات: ٧).

بمعنى الإيمان، وذلك في قوله تعالى: (وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ) (الأنفال: ٢٣).

وبمعنى الإسلام، وذلك في قوله تعالى: (مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) (الظم: ١٢).

لفظ في القرآن الكريم ورد في أكثر من آية، وكانت دلالاته على معناه في كل واحدة منهما غير معناه في الآيات الأخرى التي ورد فيها - أي أن المفسر في هذا النوع من أنواع التفسير يقوم بالنظر في معنى كل لفظ ورد متكرراً في آيات القرآن، وكانت دلالاته في آية أو بعض الآيات التي ورد فيها مباناً لدلالاته على معناه في الآية، أو الآيات الأخرى، ثم يقوم بحصر تلك المعاني المتعددة، ويجعلها وجوهاً للفظ الواحد، ويظهر أثر هذا العلم في التفسير بمعرفة مدلول الألفاظ، وأنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن الكريم إلا إذا علم مدلول كل لفظ، وعرف معناه، وأدرك استعمالات الألفاظ، بل لا بد من فهم ذلك وإدراكه لما يترتب عليه من اختلاف في فهم العقيدة الصحيحة، واستنباط الأحكام الشرعية والأفقد أخطأ الفهم وبعد عن الصواب وتجراً على القول في القرآن بغير علم.

وهذا العلم أثره كبير في ضبط مسائل العقيدة الصحيحة، وفي التفسير الفقهي، وكذلك في مجال تطور الألفاظ واستخداماتها المختلفة، لذلك سوف نورد الأمثلة التي تظهر هذا الأثر في النقاط الآتية:

أولاً: الأثر في الاتجاه العقدي:

فمن لم يعرف الوجوه التي يحتملها اللفظ أخطأ في فهم العقيدة فالشرك مثلاً ورد في القرآن الكريم لمعان مختلفة فقد ورد بمعنى: الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة، وهو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل إلا بالثوبة النصوحة منه وهو أن يتخذ العبد من دون الله نداً يحبه كما يحب الله عز وجل، وقد جاء

في الألفاظ والمعاني للأساليب القرآنية على نحو من الإعجاز الذي تتقاصر دونه ساسة البيان وفرسانه، وفي هذا يقول الإمام الزركشي: «وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن الكريم، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً، أو أكثر، أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر»^(٢٧).

ويتجلى أثر هذا العلم في التفسير في أن القرآن الكريم حمالٌ ذو وجوه، وعلم الوجوه والنظائر هو الكاشف لها، ولولا ذلك لحمل هذه الوجوه من شاء على ما يشاء، وتجد الفرق الضالة ضالّتها، وتستدل بآيات القرآن في غير موضعها، وتضعها في غير مكانها، الذي أراد الله سبحانه وتعالى. وعلم الوجوه والنظائر، هو الذي يظهر للمفسر المعاني والدلالات المختلفة للكلمة الواحدة، وللحرف الواحد من حروف المعاني في سياقات مختلفة.

وتفسير القرآن بالقرآن، والذي هو ذروة سنام التفسير، لا يتأتى إلا بمعرفة الوجوه والنظائر، وقل ذلك أيضاً في التفسير الموضوعي، الذي برز في هذا العصر بهذه الصورة المصطلح عليها، وإن كانت نشأته قديمة فهو علم قديم جديد.

ومن أجل فهم مقاصد القرآن الكريم، وأحكامه ودقائق تشريعاته، والوقوف على أسرارهِ وعجائبهِ التي لا تنقضي، كان لزماً على المفسر أن يتمكن من هذا العلم، ليقف على التفسير الصحيح للآيات القرآنية المراد تفسيرها، وفوق كل ذلك يعتبر علم الوجوه والنظائر فرعاً من علم تفسير القرآن الكريم، إذ هو علم يبحث في كل

عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء وهو للذي عمله»^(٤٢).

فمن لم يدرك هذه المعاني للشرك وقع في اللبس، وأخطأ الفهم، ويعد عن الصواب وتجراً على القول في القرآن بغير علم.

ثانياً: الأثر في الاتجاه الفقهي في التفسير: أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن لحكم عظيمة غايتها ونهايتها:

١- تصحيح العقيدة.

٢- تقويم السلوك.

أما أولها فقامت به آيات العقائد - كما أوضحنا ذلك سابقاً - وبنته على قواعد سليمة قوامها أركان الإيمان.

أما الثاني فتكفلت به آيات الأحكام على وجه اختاره الله لعباده ضلوا إن عملوا بسواه، وكفروا إن حكموا بغيره^(٤٣).

وقد استحوذ هذان الركنان على جُلِّ أو إن شئت فقل كل آيات القرآن الكريم، وما عداهما من آيات القصص والأمثال والوعد والوعيد، لا يخرج كله عن تقرير عقيدة أو تقويم سلوك، فهو داخل في دائرة هذين الركنين، لا يخرج عنهما بحال من الأحوال.

لكل ما ذكر سابقاً يستمد الاتجاه الفقهي في التفسير أهمية كبرى خصوصاً إذا جاءت الكلمة تحمل معاني مختلفة، كما هو الحال في الوجوه والنظائر، فهنا لا بد من نظرة ثاقبة، لاستنباط الأحكام بصورة سليمة وصحيحة، ومن أمثلة ذلك لفظ «الطعام» ورد في القرآن الكريم لثمان مختلفة منها:

الشرك بهذا المعنى في آيات كثيرة منها على سبيل المثال: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) (النساء: ٣٦)، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: ٤٨).

قال ابن كثير في تفسير قوله (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا): «يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآت والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته»^(٣٨).

وفي موضع آخر ورد بمعنى الطاعة لغير الله من غير عبادة وذلك في قوله تعالى: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) (الأعراف: ١٩٠).

قال ابن الجوزي في تفسيرها: «المراد بالشريك: إبليس لأنهما أطاعاه في الاسم، فكان الشرك في الطاعة، لا في العبادة»^(٣٩).

ورد الشرك بمعنى الرياء كما قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠).

قال الإمام البغوي في قوله: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا): «أي: لا يرائي بعمله»^(٤٠).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْفَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْفَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ»^(٤١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ

ذبايحهم اسم الله»^(٤٤).

ومن معانيه كذلك، السمك المليح، كما في قوله تعالى: (أَحْلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (المائدة: ٩٦).

قال ابن الجوزي: «فأما طعامه، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما نبذه البحر ميتاً، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر. والثاني: أنه مليحه، قاله سعيد بن المسيب، وسعيد بن جببر، والسدي، وعن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة كالقولين، واختلفت الرواية عن النخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح وما لفظه. الثالث: أنه ما نبت بمائه من زرع البر»^(٤٥).

فمن لم يدرك هذه الوجوه لم يعرف الصواب، والتبس عليه الحق بالباطل، ومن عرف هذه الوجوه وأن للكلمة أكثر من معنى تحرى الحق والصواب، ووفق إلى الهدى ونال الثواب.

ثالثاً: الأثر في تطور اللفاظ بين المفسرين:

وهذا المصطلح يعني لنا في باب الدلالة وتطورها شيئاً كبيراً، وفي تفسير القرآن الكريم وفهمه فهماً صحيحاً، ومن الأمثلة التي نستدل بها على ذلك كلمة الأمة، فهي لفظ كثير الدلالات المنسجمة مع مختلف السياقات، وذكر الدامغاني لها تسعة معانٍ، وذكر الفيروز آبادي لها عشرة، وملخصها ما يلي: «معنى الصف المصفوف، السنين الخالية، المدة من الزمن، الدين والملة، الأمم السالطة، القوم بلا عدد، القوم المعداد،

١- بمعنى الطعام الذي يأكله الناس كما في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) (الفرقان: ٢٠).

وورد لفظ الطعام بمعنى الشراب في قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة: ٩٣)، فلما فصل طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِيَدِنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٢٤٩).

وجاء بمعنى الذبايح في قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَحْلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (المائدة: ٥).

قال الإمام الشوكاني: «الطعام اسم لما يؤكل، ومنه الذبايح، وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبايح، وهذه الآية دليل على أن جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين، وإن كانوا لا يذكرون على

الزمان الطويل، الكفار خاصة، أهل الإسلام، الإمام المؤتم به»^(٤٦).

فمن يعرف من اللفظ الجماعة من الناس، تجمعهم بقعة من الأرض مشتركة، وجنس واحد، ومبادئ جامعة، ولسان وأصل بينهم، لا يفهم قوله تعالى: (إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانَتْ لَهُ خَنيفًا وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنحل: ١٢٠)، على وجهها الصحيح حتى يعلم دلالتها على معنى الإمام

المقتدى به، والذي يعدل في أثره وبركته على من حوله جيلاً من الناس ليسوا في منزلته، وكذلك قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) (يوسف: ٤٥).

فقوله تعالى: (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) لا يمكن أن يطلق لفظ (الأمة) على معنى الجيل من الناس مطلقاً، بل لابد من حمله على معنى الزمن، وعلى وفق ذلك جاءت عبارات المفسرين: قال

الشوكاني: «ومعنى بعد أمة، أي: بعد حين، ومنه قوله تعالى: (وَلَبِثْنَا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مُعْتَدَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (هود: ٨)، أي إلى وقت»^(٤٧).

وقال الزمخشري: (بعد أمة، أي بعد مدة طويلة، وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه، وأعضل على الملاء تأويلها، تذكر الناجي يوسف، وتأويله رؤياه، ورؤيا صاحبه، وطلب إليه أن يذكره عند الملك»^(٤٨).

ومن الأمثلة كذلك لفظ المحصنات، حيث ورد هذا اللفظ عند بعض المفسرين على ثلاثة وجوه وهي^(٤٩):

الوجه الأول: المحصنات: يعني الحرائر، فذلك قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَاضِيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ٢٤).

الوجه الثاني: محصنات: يعني عفاف فذلك قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النساء: ٢٥).

الوجه الثالث: المحصنات: يعني المسلمات، فذلك قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النساء: ٢٥).

واتفق المفسرون في جميع الوجوه التي ذكرت سابقاً، وزاد ابن الجوزي والثعالبي وجهاً رابعاً،

الخاتمة

كانت هذه الجولة المباركة في علم الوجوه والنظائر، وآيات الله الكريمة، وإنها لرحلة ماثمة، وجولة رائعة، حيث كانت في رياض القرآن الكريم ومعانيه، وأساليبه التي بهرت أرباب الفصاحة والبلاغة.

وبعد الخوض في هذا البحث، ظهر لنا ضرورته، وأهميته العلمية، كيف لا وهو في علم التفسير، وكفى به رفعة شأن، فهو من خير العلوم وأجلها وأعلاها وأسناها، إذ لا يخفى على أحد أن معرفة لفظ من ألفاظ القرآن يتوقف على معرفة المراد منها، وتفسيرها، وألفاظ القرآن قد بلغت الغاية والنهائية في دقة الإحكام، وروعة الختام، ولا يوجد مثلها، فكتاب الله لو نزع من لفظه ثم أدير لسان العرب كله على أن يوجد أفصح، وأحسن منها، لا يوجد.

وقد ثبت من الدراسة أن اللفظ الواحد قد يحتمل أكثر من معنى، لاختلاف وضعه بالنسبة لما اقترن به من ألفاظ، أو لازمه من سبب أو المناسبة، أضف إلى ذلك ما يستفيد الأديب من هذا الأسلوب الأدبي الرفيع في فصاحته، وبلاغته التي كانت من أهم دلائل إعجاز القرآن الكريم، وإعجاز القرآن هو العلم الذي ينبغي على الباحثين كشفه والسبر في أغواره، وهو العلم الذي يشير إلى مصدر القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين.

وأخيراً يمكن أن أجمل أهم النتائج في الآتي:

١- الاختلاف الذي وقع في تعريف الوجوه والنظائر بين العلماء، أكثره من الاختلاف

المحصنات: ذوات الأزواج، وقد أسهب ابن الجوزي في هذا الوجه فقال: «والرابع: ذوات الأزواج، ومنه قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)»، أي: ذوات الأزواج قاله ابن عباس والحسن وابن زيد، ومعنى الآية عند الأكثرين: إلا ما ملكت أيمانكم من السبايا في الحروب ...»^(٥٠).

وهذه الوجوه أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره فقال: «واختلف أهل التأويل في المحصنات التي عناهن الله في هذه الآية: فقال بعضهم: هن ذوات الأزواج غير المسبيات منهن».

وقال آخرون ممن قال: المحصنات ذوات الأزواج في هذا الموضع، بل هن كل ذات زوج من النساء، حرام على غير أزواجهن إلا أن تكون مملوكة اشتراها مشتر من مولاها، فتحل لمشتريها ...

وقال آخرون: العفائف.

وقال آخرون: ذوات الأزواج، غير أن الذي حرم الله منهن في هذه الآية الزنا بهن وأباحهن بقوله: (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)، بالنكاح أو الملك.

وقال آخرون: بل هن نساء أهل الكتاب.

وقال آخرون: بل هن الحرائر ...»^(٥١).

وعلى كل حال، فإن هذه الآية الكريمة قد استدلت بها على معنيين أحدهما الحرائر، والثاني ذوات الأزواج، وأكثر المفسرين يرجح ذوات الأزواج، وبذلك يضيفون وجهاً جديداً مدلول لفظ المحصنات. والله أعلم.

اللفظي؛ لأنَّ المضمون في التعريف واحد.

٢- الإمام الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتيان، خالفا الإمام ابن الجوزي في تعريفه للوجوه والنظائر من ناحية نظرية فقط، بدليل الأمثلة والنماذج التي أوردها لهذا العلم تتفق مع تعريف ابن الجوزي لها.

٣- نال هذا العلم أهمية قصوى، وكتب فيه العلماء منذ بداية القرن الهجري، وأول من صنف فيه عكرمة مولى بن عباس ت ١٠٥هـ، إلا أنَّ أشهر المؤلفات الجامعة لهذا العلم هو مؤلف ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر».

٤- أصحاب الوجوه والنظائر كثيراً ما يذكرون معنى اللفظ بما يخالف ما ذكره بعض المفسرين، وهم بهذا لا يجعلونه هو المعنى الصائب، بل إنَّ من وجوه هذا اللفظ كذا، بصرف النظر عن قوته أو ضعفه.

٥- هناك علاقة «عموم وخصوص»، بين الوجوه والنظائر والمشتراك اللفظي، كما أنَّ هناك علاقة وطيدة بين الوجوه والنظائر، والقول الراجح في بيان معنى الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

٦- اهتمام السلف بهذا العلم كان منصباً في تعدد الوجوه والمعاني للألفاظ، وتوسع الخلف في هذا العلم واجتهدوا في ربط تلك المعاني وفق مقاصد القرآن، كما هو الحال في التفسير الموضوعي ممَّا أكسب هذا العلم مزيداً من الأهمية.

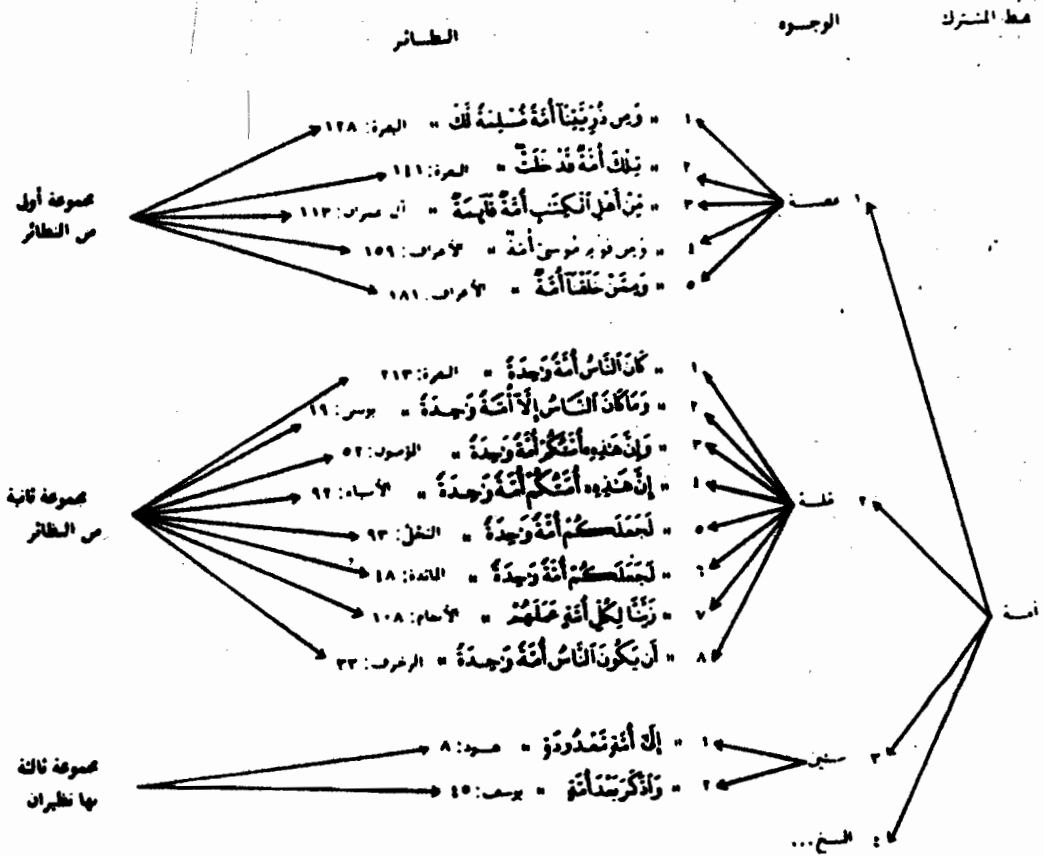
المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ.
- الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- إرشاد الفحول، الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- أسباب اختلاف المفسرين، عبد الإله حوري، دار النوادر، بدون تاريخ.
- أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، مساعدة الطيار، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
- بحوث في أصول التفسير، فهد بن سليمان الرومي، الرياض ط ٨، ١٤٢٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن، الزكشي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ.
- بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي.
- تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- تشنيف السامع، محمد الزركشي، تحقيق د. عبد الله ربيع، مؤسسة قرطبة.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، القاهرة، ١٩٨٤م.
- التفسير الموضوعي، زياد الدغامين، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- جامع البيان، الطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- جمع الجوامع، عبد الوهاب بن علي السبكي،

- بدون تاريخ.
- مؤسفة قرطبة.
- جمهرة اللغة، ابن دريد، طبعة دائرة المعارف
العثمانية، الهند.
- الدر المنثور، السيوطي، دار الفكر، ١٩٩٣م.
- دراسات في التفسير وعلوم القرآن، محمد
بكر إبراهيم آل عابد، دار الطرفين، الطائف.
- زاد المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي،
ط١٤٠٧هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل،
تصوير تركيا، ١٤٠١هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار
السلام، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار الفكر عن
طبعة دار صادر.
- فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية، طبعة: مجمع
الملك فهد، ١٤١٦هـ.
- فتح القدير، الشوكاني، دار الكتاب العربي،
لبنان، ١٤٢٧هـ.
- الكشف، الزمخشري، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،
حاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق جماعة
من العلماء، دار المعارف، مصر.
- المحصول في علم الأصول، الرازي، تحقيق د.
طه جابر العلواني، نشر جامعة الإمام، الرياض.
- مسند الإمام أحمد، دار المعارف، مصر،
١٣٧٣هـ.
- مسند الإمام أحمد، طبعة الحلبي، مصر،
- مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام،
بدون تاريخ.
- معالم التنزيل، للإمام البغوي، بدون تاريخ.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق:
عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.
- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، مطبعة
المدني، القاهرة.
- المفاهيم والمصطلحات، عبد الرحمن حللي،
بدون تاريخ.
- المفردات، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة،
بيروت.
- المنتقى في علوم القرآن، طه عابدين، دار
الأندلس، حائل، ط١، ١٤٢٩هـ.
- نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، دار
المعارف، الهند، ١٤٠٤هـ.
- الوجوه والنظائر، الدامغاني، دار العلم
للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٥م.
- الوجوه والنظائر، سليمان قرعاوي، مكتبة
الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

(هوامش)

- (٢٧) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة موازنة، سليمان القرعاوي، ص ٦٨٢ بتصرف.
- (٢٨) أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، د. مساعد الطيار، ص ١٢٩.
- (٢٩) المحصول في علم الأصول، الرازي، ج ١، ص ٢٥٩، وإرشاد الفحول، الشوكاني، ص ٤٥.
- (٣٠) أسباب اختلاف المفسرين، عبد الله الحوري، ص ٢٨٩.
- (٣١) انظر الأقوال والأدلة في جمع الجوامع ج ١، ص ٢٨٢.
- (٣٢) المنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين، ص ٧٠.
- (٣٣) انظر: المغني، ابن هشام، ج ١، ص ٢٩٦.
- (٣٤) البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٧١، والمنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين ج ٢، ص ١٧٢.
- (٣٥) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ٣٨٢.
- (٣٦) الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ١٦٧.
- (٣٧) البرهان في علوم القرآن ج ١، ص ١٠٢.
- (٣٨) تفسير القرآن، ابن كثير، ج ٢، ص ٢٩٧.
- (٣٩) زاد المسير، ابن الجوزي، ج ٢، ص ٦٧.
- (٤٠) تفسير البغوي، البغوي، ج ٥، ص ٢١٢.
- (٤١) أخرجه الإمام أحمد، ج ٥، ص ٤٢٩، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.
- (٤٢) أخرجه مسلم، باب من أشرك في عمله غير الله، ج ٤، ص ٢٢٨٩.
- (٤٣) بحوث في أصول التفسير، فهد الرومي، ص ٩١.
- (٤٤) فتح القدير، ج ٢، ص ٢٧٢.
- (٤٥) زاد المسير، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٤٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ج ٢، ص ٨٠.
- (٤٧) فتح القدير، الشوكاني، ج ٢، ص ٤٥.
- (٤٨) الكشاف، الزمخشري، ج ٢، ص ٢٩١.
- (٤٩) الوجوه والنظائر، قرعاوي، ص ٢٨١.
- (٥٠) نزهة الأعين النواظر، ج ٢، ص ١٥٦.
- (٥١) انظر: جامع البيان، الطبري ج ٨، ص ١٥١.
- (١) جمهرة اللغة: مادة (وجه)، ابن دريد ج ٢، ص ٣٧٩.
- (٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ج ٦، ص ٨٨.
- (٣) انظر: تاج العروس، ج ١٤، ص ٢٥٢.
- (٤) أخرجه البخاري، حديث رقم ٧٧٥.
- (٥) انظر: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص ٨٢.
- (٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٢، ص ٢٧٦.
- (٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ج ١، ص ١٠٢، وانظر: الإتيقان، السيوطي، ج ١، ص ٤٤٥.
- (٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ج ٢، ص ٢٠١.
- (٩) بحوث في أصول التفسير، فهد الرومي، ص ١٢٨.
- (١٠) من أشهر الكتب التي صنف فيها كتاب المفردات للراغب الأصفهاني.
- (١١) انظر الوجوه والنظائر، قرعاوي، ص ٥٧١.
- (١٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٢، ص ٤، رقم ١٠٨٢.
- (١٣) انظر المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٦٧.
- (١٤) المفردات، الأصفهاني، ص ٦.
- (١٥) انظر: المفاهيم والمصطلحات القرآنية، عبد الرحمن حللي، ص ٧٤-٧٥.
- (١٦) التفسير الموضوعي ومنهجية البحث، د. زياد خليل، ص ٧٢.
- (١٧) دراسات في التفسير وعلوم القرآن، محمد بكر آل عابد، ص ٧٤.
- (١٨) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ١٠٢.
- (١٩) مصنف عبد الرزاق، ج ١١، ص ٢٥٥، وابن أبي شيبة ج ١٠، ص ٥٢٧ والإمام أحمد، كتاب الزهد، رقم ٧٠٧.
- (٢٠) الطبقات الكبرى، ابن سعد ج ٢، ص ٣٢.
- (٢١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢.
- (٢٢) مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٧٥.
- (٢٣) الإتيقان للسيوطي، ج ١، ص ١٤٤.
- (٢٤) لابن الجوزي مؤلف آخر شرح فيه مؤلفه الأول، وهو بعنوان: منتخب قرة العيون النواظر في القرآن الكريم.
- (٢٥) صدرت الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.
- (٢٦) رسالة علمية للطالب سليمان القرعاوي بجامعة الملك سعود عام ١٤٠٢هـ.



نموذج رقم (٢) رسم بياني للتعريف الثاني للوجوه والنظائر عند الإمام الزركشي والسيوطي